

ترجمة الأدب العربي المعاصر في اليابان: ملامح عامة وتجربة شخصية

د. كاورو ياماموتو*

ترجع معرفة اليابانيين بالعالم العربي إلى القرن الثامن الميلادي وذلك من خلال مصادر صينية. ومنذ القرن الثامن عشر بدأ بعض المثقفين اليابانيين في الكتابة عن العالم العربي معتمدين بشكل أساسي على معلومات من الغرب.

وظلت اليابان الحديثة تسير على نهج الغرب في طريقها إلى التحديث والتطوير، وتأثرت نظرتها للعالم العربي بما كان منتشرًا في الغرب من أفكار عن هذا العالم، الذي كان ولا يزال عند كثير من اليابانيين عالماً بعيداً وغريباً يصعب فهمه. وجدري بالذكر أن «حكايات ألف ليلة وليلة» التي ترجمت عدة مرات من الإنكليزية والفرنسية اعتباراً من عام ١٨٧٥ كان لها تأثير بالغ في تشكيل مخيلات اليابانيين عن العالم العربي.

أما الاهتمام بالأدب العربي المعاصر في اليابان فكانت له خلفية مختلفة تماماً، إذ يعود إلى انعقاد المؤتمر الأول للكتاب الآسيويين في نيودلهي بالهند عام ١٩٥٦، ثم المؤتمر الأول للكتاب الأفريقيين والآسيويين في طشقند بأوزبكستان عام ١٩٥٨ عقب مؤتمر باندونغ بإندونيسيا الذي دعا إلى التضامن بين الدول الآسيوية والأفريقية. وأسس الكتاب اليابانيون الذين شاركوا في هذين المؤتمرين لجنة للاتصالات من أجل عقد اجتماع مؤتمر الكتاب الأفريقيين والآسيويين في طوكيو في ١٩٦١. وشهدت الستينيات انقسامات حادة في صفوف حركة الكتاب الأفريقيين والآسيويين على المستوى العالمي بسبب صراع بين الصين والاتحاد السوفيتي وقع في ذلك الوقت، إلا أن الاتصالات بين المكتب الدائم في القاهرة واللجنة اليابانية ظلت مستمرة دون انقطاع. وفي ١٩٧٤ تأسست الجمعية اليابانية لمؤتمر الكتاب الأفريقيين والآسيويين وذلك بناء على دعوة من نخبة كتاب يابانيين، ومنهم «كنزابورو أوي» (Ōe Kenzaburō) الذي حصل على جائزة نوبل للأدب فيما بعد، و«هيروشي نوما» (Noma Hiroshi) الذي تولى رئاسة الجمعية. واستهدفت تلك الجمعية تبادل الآراء والتعاون بين الأدباء على المستوى الفردي بعيداً عن الدولة. وفي السنة ذاتها، عقدت هذه الجمعية المؤتمر الياباني - العربي للتضامن الثقافي في عدة مدن يابانية، شارك فيه كتاب وشعراء عرب منهم محمود درويش ويوسف السباعي. وصدر في تلك المناسبة كتاب «مختارات الأدب العربي المعاصر» تحت إشراف الكاتب الشهير والحاصل على جائزة لوتس، «هيروشي نوما». ويتضمن الكتاب ٢٣ عملاً أدبياً من القصة والشعر والمسرحية والنصوص النقدية، ترجمت من العربية على أيدي مستعربين يابانيين بالتعاون مع كتاب وشعراء معروفين، ويعتبر هذا الكتاب أول محاولة جدية وواسعة النطاق في إطار الجهود المبذولة من أجل تقديم الأدب العربي المعاصر إلى الساحة الأدبية اليابانية.

وفي هذا السياق، صدرت أيضاً عشرة مجلدات من سلسلة «مختارات من الروايات العربية الحديثة» تحت إشراف «هيروشي نوما» خلال الفترة من سنة ١٩٧٨ إلى ١٩٨٠. وأظن أن هذا العمل قيم جداً على المستوى العالمي حيث أنه يشمل مجموعة رائعة من الروايات العربية الحديثة منها «عصفور من الشرق» لتوفيق الحكيم و«الأرض» لعبد الرحمن الشرقاوي و«بين القصرين» لنجيب محفوظ و«موسم الهجرة إلى الشمال»

* المحاضرة بجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية

للطبيب صالح و«رجال في الشمس» و«عائد إلى حيفا» لغسان كنفاني. وهكذا لم يقتصر الاهتمام بالأدب العربي المعاصر على أوساط المستعربين فحسب بل وأيضاً بين الأدباء والقراء اليابانيين خلال السبعينيات والثمانينيات. أما عن مجلة «لوتس» التي كان يصدرها المكتب الدائم لمنظمة الكتاب الأفريقيين والآسيويين في القاهرة باللغات الإنكليزية والفرنسية والعربية اعتباراً من ١٩٦٨، فقد ظلت بمثابة باب أساسي لمعرفة الأدب العربي المعاصر. وقد ترجم الكثير من الأعمال الأدبية العربية التي نشرت في مجلة «لوتس» إلى اليابانية واحتلت بشكل منتظم صفحات المجلات الأدبية وعلى رأسها «شين نيهون بونغاكو» (Shin Nihon Bungaku) التي كانت تصدرها جمعية الأدب الياباني الجديد التي لها علاقة وثيقة بالجمعية اليابانية لمؤتمر الكتاب الأفريقيين والآسيويين. وأسهم أيضاً كثير من الأدباء اليابانيين المعروفين بكتابة تحليلاتهم وتعليقاتهم على الروايات العربية التي تضمنتها سلسلة «مختارات من الروايات العربية الحديثة» المذكورة. وعلى سبيل المثال كتب «كينزابورو أوي» مقدمة المجلد الخاص بأعمال غسان كنفاني.

وثمة عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية عديدة كانت تكمن وراء هذا الاهتمام بالأدب العربي المعاصر، منها مثلاً فكرة التضامن مع شعوب العالم الثالث، وتداعيات أزمة النفط وتساعد الوعي بخطورة القضية الفلسطينية. إذ بدأ في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧، ظهور حركات تهدف إلى التضامن مع حركة التحرير الفلسطينية بين أوساط طلبة الجامعات والمواطنين اليابانيين، وتمثل أنشطة حركة الجيش الأحمر الياباني الصورة الأكثر تطرفاً بين هذه الحركات، حيث شاركت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في كفاحه المسلح. وفي ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ اندلعت الحرب في الشرق الأوسط، وامتنعت الدول العربية المنتجة للنفط عن تصديره، مما تسبب في وقوع ما نسميه «صدمة النفط» (Oil Shock) والتي ساهمت بشكل كبير في جذب انتباه القائمين على السياسة والاقتصاد في اليابان إلى أهمية القضية الفلسطينية. إذ قام أمين مكتب رئيس الوزراء في ذلك الوقت بإصدار «تصريح نيكايو» (Nikaidō Danwa) والذي طالب فيه إسرائيل بالانسحاب الكامل من الأراضي التي احتلتها في عام ١٩٦٧. كما قامت الحكومة اليابانية بإرسال مبعوث خاص إلى الشرق الأوسط لتوضيح الموقف الياباني المؤيد للدول العربية. وفي عام ١٩٧٧ تم افتتاح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في طوكيو، وعين فتحي عبد الحميد أول ممثل للمنظمة في اليابان. وتوافد على فتحي عبد الحميد كبار السياسيين والاقتصاديين في اليابان بغية التعرف على الأوضاع الفلسطينية والعربية، وفي عام ١٩٧٩ أنشأ مجموعة من نواب البرلمان الياباني «اتحاد أصدقاء فلسطين» والذي كان له نشاط متميز لدرجة أنه جرت العادة على أن يترأسه وزراء الخارجية المتعاقبون.

وقد كان فتحي عبد الحميد نفسه أديباً، وقد لعب دوراً كبيراً في إطار تقديم الأدب العربي عامة والفلسطيني خاصة لليابانيين. وأصدر مكتب منظمة التحرير الفلسطينية مجلة «فلسطين بلادي» من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٣، وكانت هذه المجلة تحتوي على أعمال شعرية وقصصية لمحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغسان كنفاني، وكلها مترجمة إلى اللغة اليابانية.

ولكن المجتمع الياباني بدأ يفقد اهتمامه نحو العالم العربي منذ منتصف الثمانينيات، ويقول في ذلك «يوزو إيتاغاكي» (Itagaki Yūzō) وهو باحث كبير في شؤون الشرق الأوسط: إن الاهتمام بالشرق الأوسط أخذ يتلاشى بشكل سريع في الأوساط السياسية والاقتصادية اليابانية بعد تغير أوضاع سوق النفط العالمية بسبب الحرب العراقية الإيرانية. ولم تعد هناك حاجة ماسة لتوجيه عناية خاصة إلى الدول العربية المنتجة للنفط. ومع اندلاع حرب الخليج الأولى، ثم انطلاق مسيرة السلام في الشرق الأوسط، أخذت اليابان في التراجع عن سياساتها الخارجية المستقلة التي طالما أيدت من خلالها مواقف الدول العربية. وتحلّى تحلي الياباني

عن سياساتها المؤيدة للدول العربية في تأييدها للحرب الأمريكية على الإرهاب بعد حوادث ١١ سبتمبر، وإرسالها قوات يابانية إلى الأراضي العراقية.^١

وقد ألقت هذه الأحداث بظلالها على الساحة الأدبية أيضاً، إذ تفككت المنظمة العالمية للكتاب الأفريقيين والآسيويين إثر اختيار الاتحاد السوفيتي. أما الجمعية اليابانية لمؤتمر الكتاب الأفريقيين الآسيويين فقد استمرت في مزاوله نشاطاتها لسنوات أخرى ولكنها هي أيضاً حلت نفسها في عام ١٩٩٧، وتبع ذلك توقف إصدار مجلتها «alaa». كما توقف إصدار مجلة «griot» والتي بدأ إصدارها عام ١٩٩١ بهدف التضامن الثقافي مع العالم الثالث في مواجهة ما ذكره الرئيس الأمريكي «بوش الأب» عن النظام العالمي الجديد. وهكذا فقدت الأعمال الأدبية العربية المترجمة إلى اليابانية عدة وسائل للوصول إلى القارئ الياباني.

وازداد الأمر سوءاً مع استمرار أزمة قلة الإقبال على شراء الكتب بشكل عام وكتب الأدب المترجم بالتحديد. وعلى سبيل المثال لا الحصر، واجه «نوبوأكي نوتاهاارا» (Nutahara Nobuaki) — صاحب الفضل الأول في ترجمة وتحليل وتقديم عدد كبير من الروايات العربية في فترة السبعينيات والثمانينيات — صعوبات جمة في فترة التسعينيات في سعيه من أجل العثور على دار نشر يصدر من خلالها ترجمته لأعمال إبراهيم الكوني ومحمد شكري وغيرهما. وكذلك «أكيهيرو تاكانو» (Takano Akihiro) الذي بذل جهوداً كبيرة من أجل تقديم مجموعة من الروايات المصرية للقارئ الياباني، مثل أعمال محمد مستجاب ويحي طاهر عبد الله. توفي «تاكانو» تاركاً وراءه عدداً كبيراً من الترجمات التي لم تعرف طريقها إلى يد القراء. ومن الأمثلة البارزة أيضاً في هذا الصدد «هاروأو هاناوا» (Hanawa Haruo) الذي عمل سفيراً في وزارة الخارجية، وكرس حياته بعد تقاعده لترجمة أعمال نجيب محفوظ. ولكن، رغم ما يتمتع به نجيب محفوظ من شهرة، لم يتمكن «هاناوا» من نشر كل ترجماته وخصوصاً النصوص الطويلة منها مثل «قصر الشوق» و«السكّرية».

ومن الحالات الاستثنائية في هذا الصدد، فقد تم نشر نحو عشرة كتب للكاتبة نوال السعداوي مترجمة من اللغة الإنجليزية، وذلك نتيجة للاهتمام البارز في فترة التسعينيات من جانب الناشطات النسائيات في اليابان بقضايا المرأة العربية ولاسيما حول ختان الإناث وما أثير حوله من انتقادات. ومن المفارقات أيضاً الرواج الذي تحظى به أعمال طاهر بن جلون، وفي الآونة الأخيرة أعمال يasmine خضرة والمترجمة من اللغة الفرنسية. أما عن ترجمة كنوز الأعمال الأدبية العربية من اللغة العربية مباشرة إلى اللغة اليابانية فهذا أمر آخر كما ذكرت من قبل. وفي ظل تلك الظروف، أنصوّر أن توفقي في نشر ترجمتي لرواية «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل» للأديب الفلسطيني الكبير إميل حبيبي عام ٢٠٠٦ من خلال دار نشر متخصصة في نشر الكتب الأدبية وتحظى بسمعة جيدة، إلى جانب تقبل عامة القراء اليابانيين للكتاب وما ناله من تقدير كبير من الجرائد والمجلات الأدبية المتخصصة، يعد معجزة بكل المقاييس.

وفي تقديري، إن الفضل في نجاح تجربة ترجمة هذا الكتاب يرجع إلى أمرين، أحدهما أنه على الرغم من فقدان الاهتمام المتزايد بالعرب، فإن هناك قدراً ثابتاً من الاهتمام احتفظ به اليابانيون تجاه القضية الفلسطينية، وظهرت فئات جديدة من اليابانيين تبدي الاهتمام بالقضية الفلسطينية منذ اندلاع الانتفاضة الثانية. وعلى سبيل المثال، فإن سلسلة «مختارات من الروايات العربية الحديثة» التي تطرقت إليها منذ قليل قد توقف طبعها عدا مجلد واحد وهو الجزء الخاص بأعمال غسان كنفاني، الذي أعيد طبعه مرة ثانية بعد مرور عشرة أعوام على نفاذ الطبعة السابقة نظراً لاجتدابه المستمر لقراء جدد. ومن الجدير بالذكر أن أعمال غسان

Itagaki, Yūzō, “Ōbei-chūshin-shugi no ‘Jiko Hasan’ eno Taikō no Arika (Confronting ‘Self Bankruptcy’ of Western-centrism)” in *Impaction* 157, (Tokyo: Impact Press, 2007), p. 173.

كنفاني المترجمة ولاسيما «عائد إلى حيفا»، من أكثر الروايات العربية رواجاً بين القراء اليابانيين، بل وكانت سبيلاً إلى تعرف عدد من القراء على القضية الفلسطينية وخاصة الأدباء من بين أحفاد الكوريين الذين أدى بهم الاستعمار الياباني في شبه الجزيرة الكورية إلى العيش في اليابان، إذ وجدوا في تصوير غسان كنفاني لمسائل مثل «حياة المرء كلاجئ» و«ماهية الوطن» تصويراً لقضايا مشتركة لما يعانون منه، مما يثير مشاعر التعاطف تجاه هذه الترجمات. ومن هؤلاء «سو كيونشيكو» (So Kyonshik) الذي كتب نقداً رائعاً عن رواية «عائد إلى حيفا».

أما الأمر الآخر، الذي أرى أن له الفضل الأكبر في نجاح ترجمة هذا الكتاب فهو يرجع بالتأكيد إلى روعة رواية «المتشائل» في حد ذاتها. فهذه الرواية ليست مما يسهل قرائته حتى على القارئ العربي، إذ تصور لنا وبأسلوب متميز ومحنك، قصة حياة فلسطيني يعيش داخل الدولة العبرية، وهي حياة مليئة بالتناقضات والصراع مع الذات، مما يجعلها بالتأكيد أكثر صعوبة على القارئ الياباني. وعلى الرغم من ذلك، أثني الكثيرون على هذه الرواية واعتبروها من الروايات ذات المستوى أو الطابع العالمي، وتقبلوها على أساس أنها تطرح عدة قضايا تتميز بعلميتها أو كونيتها وانتمائها لعصرنا الحاضر. وقد حرصت خلال ترجمتي لهذه الرواية إلى اللغة اليابانية على العناية بأمرين، أحدهما الحفاظ على الأسلوب المحنك وإيقاعات النص الأصلي بقدر الإمكان.

والأمر الثاني الذي أوليته عناية خاصة هو النقل وبقدر المستطاع لما تحتويه هذه الرواية من معلومات ثقافية وتاريخية واجتماعية وفيرة إلى القارئ الياباني. وتحقيقاً لذلك، أضفت ما يصل إلى مئتين وخمسة وستين ملحوظة هامشية وهو أمر يندر وجوده في الروايات. بل ووضعت هذه الهوامش أسفل النص المترجم في كل صفحة حتى تكون سهلة المنال وحتى لا تمثل عائقاً لمن يريد الاستمتاع بقصة الرواية. كما أنني حرصت أيضاً على أن تكون الهوامش في حد ذاتها مادة غنية للقراءة كمّاً وكيفاً.

وصراحة، كنت أخشى رد فعل محبي الأدب في اليابان تجاه هذه الهوامش، ولكن ما حدث كان على العكس، حيث أنها لاقت استحساناً كبيراً وهو ما برهن لي على نضوج القارئ الياباني. وفي أحد المقابلات حول الانطباعات عن ترجمة هذه الرواية، دعا «يوزو إيتاغاكي» الباحث الكبير في شؤون الشرق الأوسط إلى ضرورة مشاركة القارئ الإيجابية وعدم اكتفائه بدور المستهلك للرواية، قائلاً: «أظن أن على القارئ أن يسجل إضافاته إلى هوامش الكتاب حتى بعد الانتهاء من قراءة الرواية» [Itagaki 2007: 165]. ومن المقولات التي لن أنساها ما قاله الكاتب «يوجيرو ساتو» (Yōjirō Satō) في تعليقه على ترجمة الرواية، وحول بداية قرائته لهذه الرواية: «واجهتني صعوبات دفعتني إلى مراجعة الهوامش الواحدة تلو الأخرى بسبب اختلاف الثقافة والبيئة، ولكنني أشعر أن هذه الصعوبات هي جزء من تلك الصعوبات التي يعيشها الفلسطينيون، وكلما قطعت شوطاً في قرائتي، احتواني أسلوب النص الساخر المتميز» [Satō 2007].

إن الأعمال الأدبية التي تترك بصماتها في تاريخ الأدب العالمي ليست بالضرورة أن تكون مادة سهلة الاستهلاك، بل من الوارد أن تكون صعبة. وطبعاً يزداد الأمر صعوبة مع الأدب المترجم الذي ينتمي إلى ثقافة وبيئة مختلفتين كما ذكر «ساتو». إن قراءة الأدب المترجم وتعقب الهوامش الواحدة تلو الأخرى أمر صعب بالتأكيد، غير أن وجود القارئ الناضج المتفهم لصعوبة الحياة في حد ذاتها، والذي لا يشكو من صعوبة قراءة الأدب المعبر عن هذه الحياة الصعبة، أمر جدير بأن يشجع المترجم على بذل محاولات دائبة.

* [النص الأصلي لهذا المقال قد أعد للإلقاء في «المؤتمر الدولي الأول للترجمة — الترجمة وتحديات العصر» الذي عقده المركز

القومي للترجمة في مصر خلال الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ مارس ٢٠١٠ بالقاهرة.]

المراجع والمصادر:

- Abe, Masao. 1976. *Arabu Sekai, Sono Miryoku o Saguru* (Exploring the Arab World). Tokyo: Hoikusha.
- Fusein, et al. 1978-80. *Gendai Arabu Shōsetsu Zenshū* (Anthology of Modern Arabic Novels). Tokyo: Kawade Shobō Shinsha.
- Habībī, Emīru. 2006. *Hi-rakkan-ya Saīdo no Shissō ni Matsuwaru Kimyō na Dekigoto* (The Pessoptimist), tr. by Yamamoto Kaoru, Tokyo: Sakuhinsha.
- Itagaki, Yūzō. 2007. “Ōbei-chūshin-shugi no ‘Jiko Hasan’ eno Taikō no Arika (Confronting ‘Self Bankruptcy’ of Western-centrism),” in *Impaction* 157, pp.160-176, Tokyo: Impact Press.
- Kurihara, Yukio. 2006. *Miraikei-no Kako Kara* (The future from the Past). Tokyo: Impact Press.
- Noma, Hiroshi (ed.), 1974. *Gendai Arabu Bungaku-sen* (Anthology of Modern Arabic Literature). Tokyo: Sojusha.
- Satō, Yōjirō. 2007. “Imin toshite Ikiru Kanashimi (Sorrows of Life as an emigrant),” in *Nishinippon Shimbun* (Morning Edition 11 March 2007). file:///C:/Users/abiir/Documents/Emil%20Habiby/書評/西日本新聞書評.htm.
- So, Kyonshiku. 1994. *‘Minzoku’ o Yomu* (Reading ‘the Nation’). Tokyo: Nihon Editor School Press.
- Sugita, Hideaki. 1995. *Nihon-jin no Chūtō Hakken* (The Japanese Discovery of the Middle East). Tokyo: University of Tokyo Press.